



تفسير آيات الأمر والنهي في سورة لقمان

ودلالاتها التربوية

إعداد الدكتور

نواف مزيد حسن السريحي

دكتور منتدب بكلية التربية الأساسية،

قسم الدراسات الإسلامية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي

دولة الكويت





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تفسير آيات الأمر والنهي في سورة لقمان ودلالاتها التربوية

نواف مزيد حسن السريحي

قسم الشريعة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مصر.

البريد الإلكتروني: nawaf.10@hotmail.com

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تفسير آيات الأمر والنهي في سورة لقمان ودلالاتها التربوية. والمنهج الذي اعتمد عليه البحث هو المنهج الاستنباطي الاستقرائي التحليلي، وتتضمن الخطة مقدمة وتمهيدا ومبحثين وخاتمة كالتالي: المقدمة: وفيها ما تتضمنه المقدمات من أسباب اختيار الموضوع وأهميته ومنهج البحث وخطته. تمهيد: بيان مفاهيم عنوان البحث. المبحث الأول: تفسير آيات الأمر في سورة لقمان ودلالاتها التربوية. المبحث الثاني: تفسير آيات النهي في سورة لقمان ودلالاتها التربوية. الخاتمة: وتحوي ما توصلت إليه الدراسة من نتائج للبحث. ومنها: اشتملت آيات الأمر والنهي في سورة لقمان على العديد من الدلالات التربوية ومنها: التأكيد بأن حب الله والصدقة عن سبيل الله هي عادة متأصلة في نفوس أهل الزيغ والضلال في كل زمان ومكان، الوعيد الشديد لمن أعرض عن الحق والقرآن وعلى طاعة رب العالمين، السخرية بمنهج الحق وإفساد الناس ومناصرة أهل الباطل هو جرم كبير يستوجب الخسران والعذاب المهين، التعمد بمنع إيصال الحق للضالين عن الصراط المستقيم، هو الصد عن سبيل الله، لأن فيه استخفاف واستحقار لمنهج قويم أنزله الله تعالى. إن الإقبال على الباطل والاستكبار عن الحق والإعراض عنه من نواقض الإيمان التي أجمع عليها أهل العلم. إن الاستكبار عن الحق من أعظم أسباب الانحراف عن الدين الحق، إذ يدفع المرء لإتباع الهوى والإصرار على الباطل، عنادا وإثباتا لغرور الذات دون مبالاة بالحجج والبراهين.

الكلمات المفتاحية: سورة لقمان، آيات الأمر والنهي، دلالات الأمر والنهي، الصراط المستقيم.



Interpreting the Verses of Command and Interdiction in Surat Luqman and their Pedagogical Significance

By: Nawaf Mazeed Hassan Al- Suraihi

Department of Islamic Sharia

Faculty of Dar Al- Oloum

Minia University

Abstract

This research aims at interpreting the verses of command and interdiction as revealed in Surat Luqman in order to display their pedagogical significance. The research applies the deductive, inductive and analytical approaches along its course. The research also includes an introduction, a preamble, two chapters and a conclusion. The introduction discusses the purposes for selecting this topic, its importance, the general approach and its working plan. As for the preamble, it is designed to discuss the concepts of the title. Regarding the two chapters; the first one deals with the verses of command in Surat Luqman and their pedagogical significance while the second one focuses on the verses of interdiction and their pedagogical significance as well. Whereas the conclusion highlights the findings of the research for example, the verses of command and interdiction in Surat Luqman include many significant pedagogical ideals such as stressing the fact that pastime, vain desires and averting people from the way of Allah constitute deeply- rooted habits in the selves of those who have gone astray and deviated from the right path in every time and place. In addition, the verses include serious threatening of divine vengeance directed to those who turned away from the truth, the Holy Qur'an, obeying the Lord of the Worlds, ridiculing the approach of truth, corrupting people, supporting the people of falsehood which are considered serious offences that necessitate evident loss and disgraceful agony. Moreover, the intention to prevent the light of truth from reaching those who have gone astray from the right path, embodies the true meaning of averting people from the way of Allah as it belittles and disdains the righteous approach revealed by Almighty Allah. Turning to falsehood, acting haughtily towards the truth and turning away from it is taken as one of the acts that nullify faith, as agreed by the majority of Muslim scholars. Acting haughtily and turning away from the truth pave the way for deviation from the right path since man becomes obliged to follow his vain desires and falsehood indifferently relying on groundless arguments.

Key words: Surat Luqman, verses of command and interdiction, significance of command and interdiction, the right path.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق ونبى الحق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،،،

فقد أرسل الله محمداً -صلى الله عليه وسلم- وأنزل عليه كتاباً من عنده ليكون دليل صدق في ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- ودستوراً للحياة البشرية جميعاً ينقذهم من غياهب الفوضى العقائدي ومستنقع الغفلة الجاهلية إلى بيئة موحدة نقية تستمد قوتها وقيمتها من كتاب ربها، فالقرآن الكريم هو عمدة رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم- الخالدة عبر القرون والأزمان لا خلق ولا يتبدد لأنه منزل من عند الله الواحد الأحد، لذا فهو منهج شامل يبين كل جوانب الحياة وما يحتاجه الإنسان من معرفة تحدد له أطر العلاقة بربه ونفسه ومجتمعه.

والقرآن الكريم كتاب الله عز وجل ودستور المسلمين الخالد إلى قيام الساعة، أنزله الله على رسوله الأمين لينظم حياة الناس، ويضبط أمور معاشهم، ويهديهم إلى ربهم، ويردهم إلى طريق الصواب لتستقيم حياتهم، وليكون المرجعية الأولى للمسلمين في كل أمور حياتهم، ولهذا الأمر اهتم المسلمون الأوائل بالقرآن وربوا أولادهم على تعاليم الإسلام، وزرعوا فيهم حب الله ورسوله والناس أجمعين، والعمل على نفع البشرية جمعاء، وإنقاذ الناس جميعاً من الاستعباد البشري، فقد سادوا العالم بأسره وحكّموا فيه القرآن وعبّدوا الناس لخالقهم بعد أن أخرجوهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فكانوا منارات يهتدى بهم في بحار الظلمات، وأعلاماً شامخة يقتدي الناس بهم، ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها وكان العالم كله يشهد لهذه الحضارة الإسلامية الزاهرة بالتقدم والحضارة التي لا مثيل لها، لذلك وجب على الباحثين أن يستمدوا مبادئ التربية وقيمتها من مصادر سليمة، وأن تبني قواعدها على أسس صحيحة تصل فيها نسبة الصدق إلى أعلى درجاتها بحيث لا يكون فيها مجال للخطأ، ولهذا يجب أن تستمد التربية من كلام الله عز وجل وكلام نبيه ﷺ؛ لأن الله هو الذي خلق الإنسان وهو أعلم بما

يصلح له وبما يضبط حياته لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) (الملك: ١٤) ورسوله الذي لا ينطق عن الهوى والذي قال الله فيه في محكم التنزيل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٤) (النجم: ٣ - ٤).

والم تأمل في سُور القرآن الكريم يجدها مليئة بالمبادئ والقيم التربوية فهنا هي آيات الصبر والتعاون في القرآن الكريم مليئة بالمبادئ والحقائق والعلوم والمعارف، فوقع الاختيار على سورة لقمان لاستنباط هذه المبادئ التربوية منها وبيان تطبيقاتها في مجال مواجهة الأسرة للتحديات التي تواجهها في الغرب، فالمسلمون اليوم بصفة عامة، والأسرة بصفة خاصة، في أمس الحاجة للعودة إلى القرآن الكريم واستنباط ما فيه من قيم تربوية، وتربية الناشئة عليها حتى يتحقق المجتمع المترابط. وسبحان القائل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الإسراء، آية: ٨٢).

لذلك لا بد من الرجوع إلى القرآن الكريم لاستنباط القيم والمبادئ والأهداف والمفاهيم والأسس التي لا بد أن نربي أولادنا عليها، فالحضارة منظومة قيم وانهارها هو الموت المعنوي للأمة^(١). وهو كتاب تربية يضم أسمى وأرفع القيم الأخلاقية التي ترتقي بالإنسان وتجعله مؤهلاً لمسؤولية خلافة الله في الأرض، وهذا ما دعاني لاختيار هذا البحث والذي عنوانه: "تفسير آيات الأمر والنهي في سورة لقمان ودلالاتها التربوية".

أسباب وأهمية الموضوع:

أما أسباب اختيار هذا الموضوع فيمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

- أهمية الخطاب القرآني المنوط به صلاح الأمة في كل مكان وزمان، إذ هو الدواء الأصيل لكل داء.
- الحاجة الماسة لتتبع الآثار التربوية المستفادة في سور القرآن الكريم عموماً وفي سورة لقمان خصوصاً لما فيها من دروس تربوية هامة تحتاج إليها أمتنا في هذا الزمن الذي طغى علينا الاهتمام بالماديات في أغلب ميادين الحياة وتغافلنا عن اللب والجوهر الذي يستحق منا كل التركيز والعناية لكي نصحح مسار حياتنا العقدي والفكري والأخلاقي على ضوء الخطاب القرآني والنبوي.

(١) محمد الصاوي: دراسات في الفكر التربوي. مكتبة الفلاح، الكويت (١٩٩٩، ص ١٧).

- أهمية توجيه الجهود والطاقات الفكرية إلى الاشتغال بالموضوعات القرآنية عموماً والقرآنية التربوية خصوصاً لسد حاجة المكتبة الإسلامية لمثل تلك الموضوعات.

الدراسات السابقة:

- دراسة سيد أحمد طهطاوي (١٩٨٥) القيم التربوية في القصص القرآني^(١).
- دراسة عبد الله علي أحمد الغامدي: لقمان الحكيم في ضوء الكتاب والسنة^(٢).
- دراسة سليمان بن علي القبس: لقمان ووصاياه في القرآن الكريم^(٣).
- دراسة إبراهيم عبد الشكور بشتاق (١٤١٨هـ) بعض المضامين التربوية في سورة الحديد. رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، (١٤١٨هـ)^(٤).
- دراسة محمد الرحيلي (١٤٢١هـ) بعض المبادئ المستنبطة من سورة يوسف^(٥).
- دراسة سعد العمري (١٤٢٤هـ) التوجيهات التربوية في سورة المجادلة^(٦).
- دراسة كوثر محمد رضا الشريف (٢٠٠٤م) القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم (ودور الأسرة في غرسها في نفوس الفتيات)^(٧).

-
- (١) سيد أحمد طهطاوي: القيم التربوية في القصص القرآني. رسالة ماجستير منشورة، مصر: جامعة أسيوط (١٩٨٥).
- (٢) عبد الله علي أحمد الغامدي: لقمان الحكيم في ضوء الكتاب والسنة، جامعة أم القرى - ماجستير ١٤١٢هـ.
- (٣) سليمان بن علي القبس: لقمان ووصاياه في القرآن الكريم، جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه، رسالة ماجستير، ١٤١٧هـ.
- (٤) إبراهيم عبد الشكور بشتاق: بعض المضامين التربوية في سورة الحديد. رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، (١٤١٨هـ).
- (٥) محمد الرحيلي: بعض المبادئ المستنبطة من سورة يوسف. رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، (١٤٢١هـ).
- (٦) سعد العمري: التوجيهات التربوية في سورة المجادلة. رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى (١٤٢٣هـ).
- (٧) - كوثر محمد رضا الشريف: القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم (ودور الأسرة في غرسها في نفوس الفتيات)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة (٢٠٠٤).

- دراسة أحمد علي الزيلعي (١٤٢٥هـ) المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفاتحة وتطبيقاتها التربوية^(١).
- دراسة خديجة بنت حمادي بن سليمان اللقماني (٢٠٠٧) القيم التربوية المتضمنة في سورة النحل وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة^(٢).
- دراسة علي صنيع (١٤٣٠هـ) المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس وتطبيقاتها التربوية^(٣).
- دراسة نصر محمد محمود، وأسامة زين العابدين عثمان (٢٠١١) دور الأسرة في تنمية بعض القيم التربوية في ضوء سورة المؤمنون (دراسة تحليلية)^(٤).
- دراسة المطيري (٢٠١٩): القيم التربوية المستنبطة من سورة يوسف عليه السلام دراسة تحليلية في ضوء مقررات الفقه في المرحلة الثانوية^(٥).

منهج البحث:

إن المنهج الذي يعتمد عليه البحث هو المنهج الاستنباطي الاستقرائي التحليلي، وقد تم مراعاة ما يلي:

١. الالتزام بأهداف التفسير الموضوعي لبيان موقف القرآن الكريم في هذا الموضوع من خلال سورة لقمان.

(١) أحمد علي الزيلعي: المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفاتحة وتطبيقاتها التربوية. رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، (١٤٢٥هـ).

(٢) - خديجة بنت حمادي بن سليمان اللقماني: القيم التربوية المتضمنة في سورة النحل وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، (٢٠٠٧).

(٣) علي صنيع: المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس وتطبيقاتها التربوية. رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى (١٤٣٠هـ).

(٤) - نصر محمد محمود، وأسامة زين العابدين عثمان: دور الأسرة في تنمية بعض القيم التربوية في ضوء سورة المؤمنون (دراسة تحليلية)، مجلة الثقافة والتنمية، السنة الحادية عشرة، عدد ٤١، يناير، (٢٠١١).

(٥) المطيري، حصة فهيد مبارك. (٢٠١٩). القيم التربوية المستنبطة من سورة يوسف عليه السلام دراسة تحليلية في ضوء مقررات الفقه في المرحلة الثانوية، مجلة البحث العلمي في التربية، كلية البنات، جامعة عين شمس، العدد العشرون.

٢. دراسة آيات السورة دراسة موضوعية من أمهات كتب التفسير.
٣. تفصيل بعض القيم التربوية المستفادة في هذه السورة مع الحرص على جمع أطراف هذا الموضوع.
٤. الاستشهاد بالأحاديث النبوية الصحيحة وأقوال أهل العلم التي تدعم مقصود البحث شرحا وتوضيحا مع الالتزام التام بقرآنية الموضوع.

خطة البحث:

وتتضمن الخطة مقدمة وتمهيدا ومبحثين وخاتمة كالتالي:

المقدمة: وفيها ما تتضمنه المقدمات من أسباب اختيار الموضوع وأهميته ومنهج البحث وخطته.

تمهيد: بيان مفاهيم عنوان البحث.

المبحث الأول: تفسير آيات الأمر في سورة لقمان ودلالاتها التربوية.

المبحث الثاني: تفسير آيات النهي في سورة لقمان ودلالاتها التربوية.

الخاتمة: وتحوي ما توصلت إليه الدراسة من نتائج للبحث.



تمهيد

بيان مفاهيم عنوان البحث:

تعريف القيم:

قال تعالى: "ذُكِرَ الدِّينَ الْقِيَمُ فَلَا تَظْلُمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ"^(١).

قال تعالى: "أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"^(٢).

قال تعالى: "ذُكِرَ الدِّينَ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"^(٣).

ومعنى القيم في سورة الروم أي: المستقيم الذي لا عوج فيه عن الحق والخير ومحاسن الأخلاق والسلوك^(٤).

أما في لسان العرب، فهي بمعنى الاستقامة، فوجد أن مادة (قوم) استعملت في عدة معان منها قيمة الشيء وثمرته، والاستقامة والاعتدال ونظام الأمر وعماده والثبات والاستمرار^(٥).

تعريف "تربوية" لغة واصطلاحاً:

لغة: من التربية، والتربية لفظ مشتق من الفعل ربب ورب، ولها معان عدة^(٦).

ومادة (رب) تطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عز وجل، وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: رب كذا، مثلاً: رب الولد: ربه وليه وتعهده بما يغذيه وينميه، وتربيته ورباه تربية بمعنى أحسن القيام عليه ووليّه حتى يفارق الطفولة، ربيت القوم:

(١) التوبة، الآية ٣٦.

(٢) يوسف، الآية ٤٠.

(٣) الروم، الآية ٣٠.

(٤) معارج الفكر ودقائق التدبر، ١٥/١٧١.

(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، لسان العرب، ط ٣ بيروت-دار صادر ١٤١٤ هـ، مادة(قوم) ٤٩٩/٢ - ٥٠٤.

(٦) ابن منظور، المرجع السابق مادة(رب) ١/٣٣٣ - ٣٣٤، وانظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٣٣ هـ - ١٣٧٣ م، مادة(رب) ٢/٣١١ - ٣١٢.

أي كنتُ فوقهم. والرب يكون أيضا بمعنى المصلح: ربّ الشيء إذا أصلحه.

اصطلاحاً:

التربية هي إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام^(١).

فالتربية هي: تنشئة الإنسان شيئاً فشيئاً في جميع جوانبه، ابتغاء سعادة الدارين، وفق المنهج الإسلامي^(٢). ولقد تناول الإسلام كل شؤون الفرد بالتوجيه والإرشاد والتهديب والتعليم، فلم يدع في حياته شيئاً إلا وقد أفاده فيه بما يصلحه، كذلك بالنسبة لحياة المجتمع لم يدع فيها أمراً إلا وجعل له نظاماً وهدياً؛ بحيث يضمن للناس السعادة دائماً، والأمان في حاضر أيامهم ومستقبلها^(٣).

المطلب الثاني: اسم السورة:

لقد اشتهرت هذه السورة باسم (سورة لقمان) بسبب اشتغالها على قصة لقمان الحكيم عليه السلام ووصيته مع ابنه تلك الوصايا الذهبية التي خلدتها هذه السورة العظيمة. وقد ورد اسمها في الحديث الذي رواه سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا نصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم الظهر فنسمع منه الآية بعد الآيات من سورة لقمان والذاريات^(٤).

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط ١، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت - ١٤١٢ هـ، كتاب (الراء) ص ٣٣٦.
(٢) الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠١١ م، ص ١٣.
(٣) المرسي، كمال الدين عبد الغني، من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٣٣١ م، ص ٤.

(٤) النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤١٦ هـ، كتاب المساجد، باب القراءة في الظهر، ١ / ٣٣٤، حديث رقم ١١٤٣، وانظر: والقزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، ط ١، دار الرسالة العالمية ١٤٣١ هـ - ٢٠١٣ م، أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الجهر بالآية أحياناً في صلاة الظهر والعصر، ٢/١٢، حديث رقم ١٣١، قال الشيخ الألباني: ضعيف. السلسلة الضعيفة ٣/ ١٢١ حديث رقم ٤١٢١.

قال الشيخ ابن عاشور^(١): سميت هذه السورة بإضافتها إلى لقمان لأن فيها ذكر لقمان وحكمته وجمالاً من حكمته التي أدب بها ابنه. وليس لها اسم غير هذا الاسم، وبهذا الاسم عرفت بين القراء والمفسرين.

عدد آياتها:

آياتها ثلاث وثلاثون في عدد أهل المدينة ومكة، وأربع وثلاثون في عدد أهل الشام والبصرة والكوفة، وهي السابعة والخمسون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الصافات وقبل سورة سبأ^(٢) كلماتها وحروفها هي: خمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف^(٣).

(١) ابن عاشور: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، ١٣٣٧ م، ١٣٧/٢١، وانظر: الزركلي، الأعلام، ٦/ ٣٢١.

(٢) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط ١، الكويت- مركز المخطوطات والتراث - ١٤١٤ هـ - ١٣٣٤ م، ص ٢١٦.

(٣) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، (ت: ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معالم التنزيل، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، ط ١، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، ٣/ ٣٣٦، النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورجائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط ١، بيروت - دار الكتب العلمية ١٤١٦هـ، ١/ ٤٢١.

المبحث الأول

تفسير آيات الأمر في سورة لقمان ودلالاتها التربوية

إن أول مصدر يؤصل لنا العقيدة الإسلامية والقيم التربوية هو كتاب الله عز وجل، لذا أصبحت أول إشارات تربوية نستفيد منها في هذه السورة هي:

المطلب الأول: التأكيد بأن الكتاب المنزل يشمل فلاح البشر.

قال تعالى: "الم. تلك آيات الكتاب الحكيم. هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ"^(١) إشارة من الله سبحانه وتعالى برفعة شأن تلك الآيات، والإشارة حينما تأتي من عظيم جليل دليل على عظمة المشار إليه.. كيف لا، والمشار إليه هو القرآن الكريم: كلام الله عز وجل المنزل على النبي الأمي - صلى الله عليه وسلم - والمتحدي بأقصر سورة منه، هو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة^(٢).

هو مصدر التشريع ودستور الحياة الذي يهدي كل البشر إلى الصراط المستقيم والطريق القويم ولهذا فإن الله وصفه بثلاثة أوصاف.

١- بالحكيم: أي الحكمة في أمره ونهيه وفي كل شيء^(٣).

٢- بالهدى: أي الدال على الخير بأقصر طريق^(٤).

٣- ووصفه بالرحمة: منقذ البشرية من دركات الجهل إلى درجات العلم، ومن ظلمة الغي إلى نور الهدى.

أهم الدلالات التربوية في هذه الآيات:

- وصف الكتاب بالحكمة إشارة واضحة بأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولهذا فهو جدير بالتمسك والاعتصام به في أمور الدين والدنيا لأنه مضمون النتيجة.
- لزوم صفتي الهدى والرحمة للقرآن الكريم ومنهجه يؤكد لنا أن أي منهج خالفه هو موطن الانحراف

(١) لقمان، الآيات ١: ٣.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق. ص ٢٣٤.

(٣) ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زمنين المالكي، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، ط ١، مصر - القاهرة - الفاروق الحديثة ١٤٢٣ هـ - ٢٠١٢ م، ٣/ ٣٧٢. بتصرف.

(٤) تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص ٧٢٣١.

ورمز الضلال وسبيل الهلاك والعذاب.

- يجب على المرين والمصلحين أن يعلموا الأمة كيفية تحقيق معنى الإحسان، لأنه لا ينتفع بهذا القرآن إلا المحسنين، والمحسن كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لما سأله جبريل عن الإحسان: فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).

المطلب الثاني: الحث على الأعمال الصالحة والثناء على فعالها.

إن العمل الصالح هو زاد المسلم في سفره إلى دار الآخرة، لذا حث الله سبحانه وتعالى عباده على العمل الصالح الخالص لله عز وجل والمتبع لسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن الله أثنى على أولئك الذين واطبوا على العمل الصالح وأطاعوا أمر الله وانتهجوا نهج القرآن ووعدهم بجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً.

يقول الله تعالى: " الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"^(٢) وفي آيات أخرى يقول الله جل وعلا: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"^(٣).

بعد ذكر بعض أوصاف الكتاب العزيز، يبين الله سبحانه أخص أوصاف المحسنين، وهي:

أولاً: إقامة الصلاة.

أول صفة وصف الله تعالى المؤمنين المحسنين هي حرصهم على الصلاة وأداؤهم إليها على أتم وجه، وقيمة الصلاة في نفوس المؤمنين عظيمة فهي: كما نعتها ابن القيم الجوزية (قرة عيون المحبين،

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط ٣، بيروت اليمامة - دار ابن كثير، ١٤١٧ هـ، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام، ٢٧/١، برقم ١١، مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت - دار إحياء التراث العربي، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، ٣٦/١ رقم الحديث ٨.

(٢) لقمان، الآيات ٤: ٥.

(٣) السورة السابقة، الآيات ٨: ٩.

ولذة أرواح الموحدين، وبستان العابدين ولذة نفوس الخاشعين، ومحك أحوال الصادقين، وميزان أحوال السالكين، وهي رحمة الله المهداة إلى عباده المؤمنين^(١)، ومن وصايا لقمان لابنه: "يا بُنَيَّ أقم الصَّلَاةَ"^(٢)، والصلاة أصلها في اللغة: الدعاء، وفي الشريعة عبارة عن أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدرة^(٣).

وإقامة الصلاة أداؤها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها^(٤).

ثانياً: إيتاء الزكاة.

الصفة الثانية من صفات المحسنين إيتاؤهم للزكاة، والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام بعد الشهادتين والصلاة.

وهي في اللغة، الزيادة والنماء، وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لأنها تزيد في بركة المخرج عنه، ويمكن أن يقال: مأخوذة من التطهير من زكى نفسه تزكية إذا مدحها وطهرها من العيوب، قال تعالى: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" فإن المخرج يطهر ما بقي من المال^(٥)، وللزكاة أصناف معينة من الناس، حيث إنها تؤخذ من الميسورين من المسلمين ممن بلغت أموالهم النصاب الموجب للزكاة، وترد إلى أصناف ثمانية ذكرهم الله في كتابه العزيز، فهي عبادة متعلقة بالأموال، وبما أن المال عصب الحياة، فإنه يصعب على كثير من أصحاب النفوس الضعيفة قطع الحرص على مال الله، فيسيطر

(١) ابن قيم الجوزية، للإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، أسرار الصَّلَاة والفرق والموازنة بين ذوق الصَّلَاة والسَّماع، اعتنى به: أبو عبد الله همام الجزائري ٢١/١٤/٢١١٤م، ص ٢.

(٢) لقمان، الآية ١٧.

(٣) الشوكاني، مرجع سابق، ١/٤٢، ابن منظور، مرجع سابق، ١٤/٤٦٤، الجرجاني، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٤) الشوكاني، مرجع سابق، ١/٤٢.

(٥) سورة التوبة: الآية ١١٣، وانظر: ابن منظور، مرجع سابق، ١٤/٣١١، الجرجاني مرجع سابق، ص ١١٢، القحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، ومنزلة، وحكم، وفوائد، وأحكام، وشروط، ومسائل، ط ٣، مركز الدعوة والإرشاد بالقصيم ١٤٣١ هـ - ٢٠٠١ م، ص ١.

عليهم الشح والبخل والخوف من الفاقة إذا دفعوا بالمقدار الذي اوجب الله عليهم، ولهذا فإن المؤمن الذي ملأ الله قلبه بالإيمان واليقين هو الذي يدفعها عن طيب نفس امتثالاً لأمر الله عز وجل.

ثالثاً: الإيمان بالآخرة.

الصفة الثالثة للمحسنين هي الإيمان باليوم الآخر، أنهم يؤمنون بالبعث والحياة بعد الموت، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة، فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك، لم يراؤوا به ولا أرادوا جزاءً من الناس ولا شكوراً^(١).

وقال ابن عاشور^(٢): فالتعبير عن إيمانهم بالآخرة بمادة الإيقان لأن هذه المادة، تشعر بأنه علم حاصل عن تأمل وغوص الفكر في طريق الاستدلال لأن الآخرة لما كانت حياة غائبة عن المشاهدة غريبة بحسب المتعارف وقد كثرت الشبه التي جرت المشركين والدهريين إلى نفيها وإحالتها، كان الإيمان بها جديراً بمادة الإيقان بناء على أنه أخص من الإيمان، فلا يثار (يوقنون) هنا خصوصية مناسبة لبلاغة القرآن.

أهم الدلالات التربوية في هذه الآيات.

- عبادة الله جل وعلا هي السبب الذي أوجد الله لأجله الخلق، وأرسل لأجله الرسل، وهي غاية كل مؤمن، وإليها ينتهي كل خير.
- لا تكون العبادة مقبولة ولن يكون العمل صالحاً إلا بالإخلاص والاتباع.
- مدح الله المحسنين إشارة إلى رفعة منزلتهم عند الله، فحري بكل مسلم أن يشمر سواعده للوصول إلى هذه المرتبة حتى ينال هذا الفضل.
- إن الصلاة والزكاة هما عماد الحياة، فالصلاة وسيلة اتصال بين الخالق والمخلوق، والزكاة وسيلة تواصل وتراحم بين المخلوقين.
- للصلاة أثر روحي في النفس لأنها خير مهذب للأرواح، ومطهر للنفوس من أدران الإثم والفساد، قال

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ٦ / ٣٣١.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ١ / ٢٤١.

تعالى: " إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ " (١).

● وللصلاة أيضا أثر اجتماعي؛ لأنها - كما وصفها الإسلام بأعمالها الظاهرة وحققتها الباطنة - منهاج كامل لتربية الأمة الكاملة. فهي بأعمالها البدنية وأوقاتها المنتظمة خير ما يفيد البدن، وهي بآثارها الروحية وأذكارها وتلاوتها وأدعيتها خير ما يهذب النفس ويرقق الوجدان، وهي باشتراط القراءة فيها - والقرآن الكريم منهاج ثقافة عالية شامل - تغذى العقل، وتمدّ الفكر بكثير من حقائق العلوم والمعارف، فيخرج المصلّي المتقن وقد صحّ بدنه، ورقّ شعوره، وغذى عقله، فأى كمال في التربية الإنسانية الفردية بعد هذا؟ ثم هي باشتراط الجمعة والجماعة تجمع الأمة خمس مرات في كل يوم، ومرة في كل أسبوع على المعاني الاجتماعية الصالحة؛ من الطاعة والنظام؛ والحب والإخاء والمساواة بين يدي الله العليّ الكبير، فأى كمال في المجتمع أتم من أن يقوم على هذه الدعائم ويشيد على هذه المثل العالية؟ (٢).

● أما الزكاة فلها أثر روحي:

أ - حصول طاعة الله بتنفيذ أمره: رجاء ثوابه وخشية عذابه، وابتغاء رضوانه، تطهير النفس وتزكيتها، والبعد بها عن خُلُقِ الشح والبخل، كما أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قول الله تعالى: " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صِدْقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا "، وقال تعالى: " وَمَنْ يَوْقُ شُحِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (٣).

ب - تشرح الصدر، فالمسلم إذا أحسن إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال، وأنواع الإحسان انشرح صدره؛ فالكريم المحسن أشرح الناس صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، والبخيل الذي لا

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥، البنا، حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي (ت: ١٣٦١ هـ)، نظرات في كتاب الله، القاهرة - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٤٢٣ هـ - ٢١١٢ م، ص ١٧١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٣، سورة الحشر: آية ٤٣، القحطاني، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، ومنزلة، وحكم، وفوائد، وأحكام، وشروط، ومسائل، مرجع سابق. ص ٢٣.

يحسن أضيّق الناس صدرًا، وأنكدهم عيشًا، وأكثرهم هما وغمًا، لكن لا بد من العطاء بطيب نفس، وخرج المال من قلبه قبل أن يخرج من يده^(١).

وللزكاة آثار اجتماعية أيضا منها:

١. تثبيت أواصر المحبة بين الغني والفقير؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، تعويد المسلم على صفة الجود، والكرم، والعطف على ذوي الحاجات؛ والرحمة للفقراء، واستجلاب البركة والزيادة وقال تعالى: " وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ " ^(٢).

٢. تجعل المجتمع المسلم كالأسرة الواحدة، يرحم القوي القادر الضعيف العاجز، والغني يحسن إلى المعسر، فيشعر صاحب المال بوجوب الإحسان عليه كما أحسن الله إليه، قال الله تعالى: " وَأَحْسِنِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ " ^(٣)، فتصبح الأمة الإسلامية كأنها عائلة واحدة.

٣. تطفى حرارة ثورة الفقراء؛ لأن الفقير قد يغضب، لما يرى من تنعم الأغنياء، فإذا جاد الأغنياء على الفقراء كسروا ثورتهم وهدؤوا غضبهم.

٤. تمنع الجرائم المالية مثل: السرقات، والنهب، وما أشبه ذلك؛ لاستغناء الفقراء عن هذه الجرائم بإعطائهم الزكاة، أو بالصدقة والإحسان إليهم^(٤).

إلى غير ذلك من الآثار التربوية الروحية والاجتماعية التي نستفيدها من ركني الصلاة والزكاة، وقد حفلت الكتب الإسلامية في تفصيل ذلك، والمذكور إنما هو للتمثيل لا للحصر.

إن الإيمان باليوم الآخر إيمانًا يقينًا جازمًا لا ريب فيه يورث قلب المسلم:

أ- الإخلاص لله - عز وجل - والمتابعة للرسول - صلى الله عليه وسلم.

(١) المرجع السابق، ص ٣١، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط ٣، لبنان - بيروت - مؤسسة الرسالة، ١٤١٦ هـ، ٢ / ٢١.

(٢) سورة سبأ: الآية ٣٩.

(٣) سورة القصص: الآية ٧٧.

(٤) القحطاني، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، ص ٢٣-٣٢ باختصار.

- ب- الحذر من الدنيا والزهد فيها والصبر على شدائدھا وطمأنينة القلب وسلامته.
- ج- النزود بالأعمال الصالحة وأنواع القربات، واجتناب المعاصي والمبادرة بالتوبة والاستغفار.
- د- تسليمة المؤمن عما يفوته في الدنيا، حتى يعلم أن ثوابه الأعظم إنما هو في الآخرة.
- هـ- تقوية الدافع الداخلي للعمل الصالح، واستشعار قيمة الحياة، وأنها ابتلاء للآخرة ومزرعة لها.
- و- تقصير الأمل وحفظ الوقت.
- ز- سلامة التفكير وانضباط الموازين والأخلاق^(١).

ثناء الله سبحانه وتعالى على المؤمنين الموقنين باليوم الآخر أفادت لنا أن ثمرة اليقين بالآخرة تؤدي إلى الهدى والفلاح في الدنيا والآخرة، واليقين بالآخرة: هو الضمان ليقظة القلب البشري، وتطلعه إلى ما عند الله، واستعلائه على دنيا الأرض، وترفعه على متاع الحياة الدنيا؛ ومراقبة الله في السر والعلن وفي الدقيق والجليل؛ والوصول إلى درجة الإحسان التي سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٢).

المطلب الثالث: الحث على التفكير في خلق الله والشكر على نعمه وآلائه.

التفكير والتأمل في خلق الله من أجل العبادات وأعظم القربات، إذ هي عبادة الأنبياء والصالحين، وصفة المؤمنين الصادقين، فهي ترقق القلوب وتهذب النفوس، وتخلق فيها شعور التقصير في حق الله، وتزيد التعلق بالله جل وعلا، والإكثار من الشكر على نعم الله وآلائه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، أما الشكر فهو قرين التفكير، فمتى ما تأملت في عظيم الخالق وعجائب الخلق وكثير نعم الله وآلائه التي عمت الكون، ظهر أثر ذلك على لسان العبد ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه محبة وشهوداً، وعلى جوارحه طاعة وانقياداً.

يقول الله تعالى: " خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ. هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ

(١) الشحود علي بن نايف، أركان الإيمان، ط ٤، ١٤٣١ هـ - ٢٠١١ م، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١١ والحديث تم تخريجه في الصفحة ٤٣.

غَنِيٌّ حَمِيدٌ"^(١)، ويقول تعالى أيضا: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمَنْ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ"^(٢)، وفي آية أخرى: " وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قَلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ"^(٣)، وفي موضع آخر يقول الله: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ"^(٤).

كل الآيات السابقة تتحدث عن جوانب مختلفة من تدبير الله في هذا الكون، ومن بديع خلقه جل وعلا، وجميل آلائه على عباده، فلقد تحدثت الآيات عن مختلف النعم الدالة على قدرة الخالق عز وجل، وهذه الآيات تختلف في سياقها ولكنها بالجملة تحثنا على التفكير والاعتبار، واستشعار عظمة الخالق عز وجل والإذعان له والخضوع لأمره عز وجل.

تعريف التفكير والشكر.

التفكير لغة: التأمل والنظر، وهو تَفَعُّلٌ مشتق من الفكر^(٥).

اصطلاحاً: التفكير تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب وسراج القلب يرى به خيره وشره ومنافعه ومضاره وكل قلب لا تفكر فيه فهو في ظلمات يتخبط، والتفكير: جولان العقل في طريق استفادة علم صحيح^(٦).

(١) لقمان، الآية ١٢.

(٢) السورة السابقة: الآية ٢٠.

(٣) السورة السابقة: الآية ٢٥.

(٤) السورة السابقة: الآيات ٢٩ : ٣١.

(٥) ابن منظور، مرجع سابق، ١/ ٦١.

(٦) الجرجاني، مرجع سابق، ص ٦٣، ابن عاشور، مرجع سابق، ٧/ ٢٤٤.

الشكر لغة: عرفان الإحسان ونشره، وأصله من شكر^(١).

اصطلاحاً: هو عكوف القلب على محبة المنعم والجوارح على طاعته وجريان اللسان بذكره والثناء عليه وقيل: هو مشاهدة المنة وحفظ الحرمة^(٢).

وقيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه فالعبد يشكر الله أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة والله يشكر العبد أي يثني عليه بقبوله إحسانه الذي هو طاعته^(٣).

وجوب التفكير والشكر.

عن عطاء، قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير، على عائشة فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا، فقال: أقول يا أمه كما قال الأول: زر غبا تزدد حبا، قال: فقالت: دعونا من رطانتكم هذه، قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: «يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي» قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟، قال: «أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها قال تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..."^(٤)، فدل هذا الحديث على أن من لم يتفكر في هذه الآيات، فإنه متوعد بالويل والعذاب، ولا يتوعد الله بالعذاب إلا

(١) مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، ١٢/ ٢٢٤.

(٢) المرجع السابق، ١٢/ ٢٢١.

(٣) الجرجاني، مرجع سابق، ص ١٢١.

(٤) آل عمران، الآية ١٣١، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ٢، بيروت-مؤسسة الرسالة - ١٤١٤ - ١٣٣٣، باب التوبة ٢/ ٣١٦، برقم: ٦٢١.

لمن خالف أمره، فتبين من هذا أن التفكير واجب^(١).

أهم الدلالات التربوية في هذه الآيات:

- أن التفكير المطلوب هو التفكير في مخلوقات الله وفي دلائل عظمته و وحدانيته، وليس التفكير في ذاته سبحانه وتعالى، فهذا لا يجوز أبداً، كما قال ابن عباس -رضي الله عنه^(٢): "تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله"^(٣).
- أن التفكير في أسماء الله وصفاته وأفعاله يورث الخشية والخشوع ودوام التوجه إليه جل وعلا.
- أن التفكير من عبادات القلب وقد كان كثير من السلف يفضلون عبادات القلب على الإكثار من عبادة الجوارح، مع عدم إهمالهم لعبادات الجوارح، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "تفكر ساعة خير من قيام ليلة"^(٤).
- أن التفكير يقوي الصلة بين الخالق ومخلوقه ويرسخ الإيمان في قلب كل مؤمن، إنه يمنع الغفلة ويجعل القلب واللسان متعلقين بذكر الله معترفين بآلائه أثناء الليل وأطراف النهار.
- أن التفكير يكثر العلم ويجلب المعرفة إذ العلم هو الثمرة الخاصة للتفكير، فإذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح^(٥).

(١) المنجد، محمد صالح، التفكير، ط ١، مجموعة زاد للنشر ١٤٣١هـ، ص ١١.

(٢) ابن عباس هو: الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو العباس، حبر الأمة وفقهها، كان مولده عام الشَّعْبِ قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين، وقيل: سنة سبعين. ينظر: الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط ١، الرياض- دار الوطن للنشر ١٤١٣ هـ، ٣/ ١٦٣٧.

(٣) الأصبهاني، أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد، العظمة، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط ١، الرياض- دار العاصمة - ١٤١١هـ، باب الأمر بالتفكير في آيات الله عز وجل (١/ ٢١٢)، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت- دار المعرفة-، ١٣٧٣هـ، باب ما يذكر في الذات والنوع وأسامي الله عز وجل، ١٣/ ٣١٣، قال ابن حجر: موقوف وسنده جيد.

(٤) أبو الشيخ الأصبهاني، مرجع سابق، ١/ ٢٣١.

(٥) الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت- دار المعرفة - ٤/ ٤٢٦ بتصرف.

- مراقبة الله والخوف منه واجتناب كل ما نهى عنه وزجر، فإن من استشعر قوة الله وقدرته على خلقه ابتعد عن المعصية، واستكثر التوبة والأوبة إلى الخالق الغفار، قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ"^(١).
- من ثمرة التفكير أيضا الشكر في نعم الله وآلائه، وشكر الله إنما هو رصيد مذخور للشاكر ينفعه هو، والله غني عنه، فالله محمود بذاته ولو لم يحمده أحد من خلقه قال تعالى: "وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ. وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ".
- حقيقة الشكر هي الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة^(٢).
- إن الله أمر بالشكر، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سببا للمزيد من فضله، قال تعالى: "وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ"، وقال الله تعالى: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ"^(٣).
- سمى الله نفسه شاكرا وشكورا وسمى الشاكرين بهذين الاسمين فأعطاهم من وصفه، وسماهم باسمه، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلا، وإعادته للشاكر مشكورا كقوله تعالى: "إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا"^(٤).
- الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحب له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره، فمتى عدم منها واحدة اختلفت من قواعد الشكر قاعدة^(٥).

(١) آل عمران ١٣٥.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط ٢، الدمام - دار ابن القيم ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص ١٦٨.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط ٣، بيروت - دار الكتاب العربي ١٤١٦هـ، ٢/ ٢٣٢. الآية الأولى من: آل عمران: آية ١٤٤، الآية الثانية: لقمان آية ٣١.

(٤) المرجع السابق، ٢/ ٢٣٣، الآية من: سورة الإنسان، آية ٢٢.

(٥) المرجع السابق، ٢/ ٢٣٤.

المبحث الثاني

تفسير آيات النهي في سورة لقمان ودلالاتها التربوية

بعد الحديث في المبحث الأول الذي تضمن جملة من القيم التربوية للمأمورات في سورة لقمان نتقل - بمشيئة الله - إلى المبحث الثاني من الدراسة.

ومن خلال هذا المبحث نستعرض جملة من القيم التربوية المستفادة من هذه السورة الكريمة في جانب المنهيات، تلك السورة التي حوت آداباً وأخلاقاً جمّة في حياة الإنسان المسلم.

المطلب الأول: التحذير من لهو الحديث والصد عن سبيل الله.

يقول الله تعالى في سورة لقمان قال تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ"^(١).

في هذه الآية الكريمة حذر المولى جل وعلا بعضاً من الصفات الذميمة التي اعتاد عليها أهل الباطل، فمن دأبهم أن يستأثروا لهو الحديث عن طاعة الله، بل لم يكتفوا بذلك ولكنهم بذلوا الغالي والنفيس لأجل إغواء غيرهم وصرّفهم عن إتباع الحق، فباتوا حجرة عثرة أمام نشره، واتخذوا دين الله هزواً ولعباً، وقووا شوكة الباطل وزمرته، لذا حذرنا الله من هؤلاء وبين العاقبة الوخيمة في هذه الأفعال الدنيئة.

قال الشيخ الشعراوي في تفسيره لهذه الآية: بعد أن ذكر الحق سبحانه الكتاب وآياته، وأن فيه هدى ورحمة لمن اتبعه وفلاحاً لمن سار على هديه يبين لنا أن هناك نوعاً آخر من الناس ينتفعون بالضلال ويستفيدون منه، وإلا ما راجت سوقه، ولما انتشر بين الناس أشكالاً وألواناً.

تعريف المصطلحات:

اللهو: هو كل شيء شغلك عن شيء، فقد ألهاك، ولهيتُ عن الشيء، إذا تركته لغيره^(٢).

(١) لقمان، ٦، وانظر: تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ١٣/ ١١٥٨٠، الشعراوي هو: محمد متولي الشعراوي، من مواليد ١١ ابريل سنة ١٩١١ م، (ت: ١٩٩٨)، يعد من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث؛ له مؤلفات كثيرة منها خواطر الشعراوي، خواطر قرآنية وغيرهما، كما أنه له دروس مرئية، ينظر: موقع الشيخ الشعراوي، أيام من حياة الشعراوي، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، وموقع الشفاء الإسلامي، وغيرهما من صفحات الشبكة العنكبوتية.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١/ ٢١٣، من مادة (حدث)، مرتضى الزبيدي، مرجع سابق، ٣٣/ ٤٣٧ مادة (لهو).

الحديث: من (حدث يحدثُ حُدوثًا) وهو كونُ الشيء لم يكن، يقال: حدث أمرٌ بَعُدَ أن لم يكن، والحديث من هذا؛ لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء^(١).

الصد: من (صدَّ يصدُّ صدودًا) وهو ميلٌ إلى أحد الجانبين، فالصد هو: الإعراض، وصدت فلانًا عن الأمر، إذا عدلته عنه^(٢).

سبيل الله: السبيل: الطريق، سمي بذلك لامتداده، وسبيل الله: طريق الهدى الذي دعا إليه^(٣).

أهم الدلالات التربوية في الآيات:

● التأكيد بأن حب الله والأهواء والصد عن سبيل الله هي عادة متأصلة في نفوس أهل الزيغ والضلال في كل زمان ومكان.

● التعبير بالشراء في (لهو الحديث) يدل على كثرة ولوعهم في الملهيات وشدة غفلتهم عن ذكر الله وطاعته، واستماتتهم بها ورواجهم له حتى ضلوا أنفسهم وأضلوا غيرهم، فهؤلاء الذين يريدون أن يصدوا عن سبيل الله تحملوا مشقة الطلب، وتحملوا غرم الثمن، ثم وُصِفوا بالخيبة لأنهم رضوا بسلعة خسيصة^(٤).

● الوعيد الشديد لمن أعرض عن الحق واختار الغناء والمزامير والمعازف الشيطانية على القرآن وعلى طاعة رب العالمين، وقد جاء في صحيح البخاري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولوا ارجع إلينا غدا فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قرده وخنازير إلى يوم القيامة^(٥).

● السخرية بمنهج الحق وإفساد الناس ومناصرة أهل الباطل هو جرم كبير يستوجب الخسران

(١) المرجع السابق، ٣٦/٢، ابن منظور، مرجع سابق، كتاب الناء فصل الحاء من مادة (حدث)، ١٣١/٢.

(٢) ابن منظور، مرجع سابق، ٢٤١/٣، كتاب الدال، فصل الصاد، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢١٢/٣ (صد).

(٣) المرجع السابق، ١٢٣/٣، ابن منظور، مرجع سابق، ٣١٣/١١، كتاب اللام، باب السين.

(٤) الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق ١١٥٨٣/١٣، بتصرف.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه ٢١٢٣/٥، رقم الحديث: ٥٢٦٨.

والعذاب المهين، كما قال الله تعالى في السورة: "أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ".

● التعمد بمنع إيصال الحق إلى الضالين عن الصراط المستقيم، هو الصد عن سبيل الله، لأن فيه استخفاف واستحقار لمنهج قويم انزله الله من فوق سبع سموات، وقد كان هذا دائما دأب أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أو المشركين الوثنيين أو المنافقين.

● إن الارتباط الوثيق بين الانحراف عن شرع الله والصد عن دينه، استحقق الصادون عن سبيله اللعنة والطرده من رحمته قال تعالى: "أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ^(١)".

● بيان تعدد أساليب الصد عن سبيل الله، فيكون بالرفض تارة وبالإكراه تارة وبالتشويه والتحريف والتهيج والتنفير تارة أخرى، كما كانت كفار مكة تفعله فقد كانوا يعرضون فلا يسمعون فعلاً، ويتحامون أن يعرضوا قلوبهم لتأثير هذا القرآن القاهر، وكانوا يحضون الجماهير على عدم السماع، كانوا يلغون بقصص اسفنديار ورستم كما فعل مالك بن النضر ليصرف الناس عن القرآن، ويلغون بالصياح والهرج، ويلغون بالسجع والرجز^(٢).

المطلب الثاني: ذم من استكبر عن الحق وأعرض عنه.

من أسباب الانغماس في ظلمة الإعراض والانحراف عن الحق المذكور في الكتاب الكريم والسنة المطهرة الاستكبار الذي ذم الله عز وجل أهله وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة^(٣).

قال تعالى: "وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"^(٤).

(١) الصلابي، علي محمد محمد، الإيمان بالله جل جلاله، ط ١، دار ابن كثير - سوريا، ص ١١١، بترقيم المكتبة الشاملة، والآيتان: في سورة الأعراف: الآيتان ٤٤-٤٥.

(٢) فتح الله، وسيم، أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، الناشر: المكتبة الشاملة، ص ٢٣، بترقيم موقع الإسلام.

(٣) مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ٧٧/ ٢٨١.

(٤) سورة لقمان: الآية ٧.

ولهذا بشر الله هذا الشقي الذي اشترى لهو الحديث، وأعرض عن آيات الله بالعذاب الأليم، الذي يناسب غروره واستكباره^(١).

تعريف الاستكبار والإعراض:

الكِبْرُ والتَّكَبُّرُ والإِسْتِكْبَارُ تتقارب، فالكبر الحالة التي يتصف بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر، التكبر على الله كالامتناع عن قبول الحق والإذعان له بالعبادة^(٢)، يقول -صلى الله عليه وسلم-: "الكبر بطر الحق وغمط الناس"^(٣).

قال الإمام النووي: "بطر الحق: دفعه وردة على قائله، وغمط الناس: احتقارهم"^(٤).

الإعراض من: أعرض يعرض إعراضاً، والإعراض عن الشيء: الصد عنه. وأعرض عنه: صد^(٥). قال أبو البقاء الكفوي: الإعراض وهو أن تولي الشيء عرضك أي جانبك ولا تقبل عليه والتولي الإعراض مطلقاً، والإعراض الانصراف عن الشيء بالقلب، قال بعضهم: المعرض والمتولي يشتركان في السلوك إلا أن المعرض أسوأ حالاً^(٦).

أهم الدلالات التربوية في الآية:

● إن الإقبال على الباطل والاستكبار عن الحق والإعراض عنه من نواقض الإيمان التي أجمع عليها

(١) طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مرجع سابق، ١١٣/١١.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق. ص ٦٣٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، ١/٣٣، رقم الحديث: ١٤٧.

(٤) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، رياض الصالحين، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ٣، لبنان-بيروت- مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ، ص ٢١٣، النووي هو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) من مؤلفاته: المنهاج في شرح صحيح مسلم ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين وغيرهما.

(٥) ابن منظور، مرجع سابق، كتاب الضاد (فصل العين) ٧/١٨٢.

(٦) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، كتاب الكلبيات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٤١٣هـ، ص ١١، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء كان من قضاة الأحناف.

أهل العلم، وهي من الصفات التي اشتهر بها اليهود خاصة فنزلت عليهم لعنة الله، ثم صارت سمة بارزة للمنكرين للحق في كل زمان ومكان.

● إن الاستكبار عن الحق من أعظم أسباب الانحراف عن الدين الحق، إذ يدفع المرء لإتباع الهوى والإصرار على الباطل، عنادا وإثباتا لغرور الذات دون مبالاة بالحجج والبراهين^(١).

● طمس الله بصيرة المستكبرين على الحق والمعرضين عن آيات الله فلا ينتفعون بما أنزله الله من الهدى ولا يفقهون شيئا من آيات الله الكونية والشرعية التي تقودهم إلى الإيمان، فكانت عقوبتهم أن قال الله في حقهم: "سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ"^(٢).

● بين الله عز وجل للناس عقوبة من انحرف عن الحق وآثر الضلال على الهدى، واتبع الباطل وأعرض عن الحق، حيث ذكرهم بأنواع العقوبات التي حاقت بالأمم التي استنكفت طريق الحق، وانحرفت نحو الباطل، وكانت تلك العقوبات أليمة شديدة ومن ذلك إغراقه لقوم نوح بسبب ضلالهم وتكذيبهم لنبيهم، قال الله تعالى: "وَقَوْمَ نوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً"^(٣)، وأرسل على عاد ريحا صرصرا عاتية بسبب ضلالهم قال تعالى: "وَأَمَّا عاد فَأهْلِكُوا بريحٍ صرصرٍ عاتية"^(٤).

إن المستكبرين والمعرضين جمعوا أقبح الجرائم وأشنعها على الإطلاق وهو التكبر على الله والتكذيب بآيات الله كفرًا وعنادا، لذا جعل الله مثوهم في جهنم - والعياذ بالله -، عقوبة ونكالا لإجرامهم، قال تعالى: "بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ

(١) مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مرجع سابق، ٧٧/٢٨٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٦.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٣٧.

(٤) مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مرجع سابق ٧٧/٢٨٣، والآية في سورة الحاقة: الآية ٦.

كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ" (١).

المطلب الثالث: التحذير من الفخر والخيلاء وذم فاعلهما.

من مكارم الأخلاق ترك الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، فالإنسان منهي أن يتفاخر على غيره، الخيلاء تكون بأفعال، يتخايل في مشيته وفي وجهه وفي رفع رأسه ورقبته إذا مشى، كأنه إلى السماء، والله عز وجل وبخ من يفعل هذا الفعل يقول ربنا جل وعلا في سورة لقمان: " وَلَا تَصَعَّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (٢)، فالواجب أن يكون الإنسان متواضعاً في القول وفي الفعل (٣).

ولشناعة صفتي الفخر والخيلاء وخطورتهما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل غرته نفسه فأعجب بها حتى باغته عقاب الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه، قد أعجبتة نفسه، فحسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» (٤).

تعريف الفخر والخيلاء: الفَخْرُ والفَخْرُ: التمدح بالخصال، والتفاخُرُ: التعاظمُ. والتفَخْرُ: التعَظُمُ والتكَبُّرُ، والفَخُورُ: المُتَكَبِّرُ، والفَخْرُ: المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه (٥).
والخيلاء والخيلاء، بالضمِّ والكسْرِ: الكِبْرُ والعُجْبُ، فالمختال: المتكبر؛ الصلف المتباهي

(١) الشيخ، ناصر بن علي عايض حسن، مباحث العقيدة في سورة الزم، ط ١، المملكة العربية السعودية - الرياض - مكتبة

الرشده ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٦٤١. بتصرف، الآيتان: من سورة الزمر ٥٩-٦٠.

(٢) لقمان: الآية ١٨.

(٣) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، مكارم الأخلاق، دار الوطن، ص ٤٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه، ٣/ ١٦٥٤، رقم الحديث: ٢٠٨.

(٥) ابن منظور، مرجع سابق، مادة (فخر) ١/ ٤٣، وانظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق،

ص ٦٢٧.

الجهول، الخيلاء: التكبر عن تخيل فضيلة تراءت للإنسان من نفسه^(١).

بعد تلك التعريفات يتضح لنا أن معنى الفخر والخيلاء يدور حول العجب بالنفس والتكبر على الخلق، فهما من الصفات التي تجرد القلب في الشعور بالعبودية لله والخضوع له، والإحساس بأن الكل متساوون أمام الله، وأن الجميع من التراب وإلى التراب لا فرق بينهم إلا بالتقوى، وهما أيضا من الصفات التي تفسد بين الناس وتقطع حبل الوصال وتبث العداوة والبغضاء فيما بينهم.

أهم الدلالات التربوية في الآية:

● إن الفخر والخيلاء من الصفات التي يبغضهما الله عز وجل إلا في موضعين كما جاء في الحديث الشريف أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن من الغيرة ما يحبها الله ومنها ما يبغض الله فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الريبة وأما الغيرة التي يبغض فالغيرة في غير ريبة وأما الخيلاء التي يحبها الله فاختيال الرجل بنفسه عند القتال والخيلاء التي يبغض الله فاختيال الرجل بنفسه في الفخر والخيلاء والكبر"^(٢).

● إنهما من سفاسف الأخلاق التي تهضم حقوق الضعفاء وتزرع الطغيان والتعدي في نفوس المتكبرين الجاهلين، وقد روى عياض بن حمار أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خطب، فقال: «وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»^(٣).

● تكمن خطورة الفخر والخيلاء على المجتمع لما يترتب عليهما من تفشي أمراض الحسد والكراهية

(١) المرجع السابق، ص ٣١٤، ابن منظور، مرجع سابق، مادة(خييل) ١١/٢٢٨.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط ٢، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ٣٩/١٥٩، رقم الحديث: ٢٣٧٥٠، تعليق شعيب الأرنؤوط "حسن لغيره، وانظر: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة - مكتبة دار الباز - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م، كتاب السير، باب الفخر والخيلاء في الحرب ٩/١٥٦، رقم الحديث: ١٨٢٥٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ٤/٢١٩٨، رقم الحديث: ٢٨٦٥.

- والطبقية بين المجتمع المسلم، فإذا افتخر الميسورون وأصحاب الجاه على المعسرين والمغمورين أثاروا حفيظتهم، ولهذا فإن المشاحنات والعداوة تنتشر في المجتمع، فيهتز كيانهم الاجتماعي.
- تنزع من قلب الإنسان الشعور بالعبودية لله والاعتراف بالنعمة والشكر على المنعم، ولهذا فإنه لا يتورع من التبخر وإسناد النعمة إلى نفسه والتباهي بها بين الخلق، وقد أخبرنا الله عز وجل بحال قارون الذي كان جاحدا لفضل الله ونعمته عليه حيث قال تعالى: "قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي"^(١)، فكانت نتيجة طغيانه: "فَحَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ".
 - إن المستعلي على الخلق المعجب بنفسه والمفتخر بنعمة ظهرت عليه يذوق عاقبة تصرفه في يوم ليس له حول ولا قوة، كما ورد في الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة، في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى: بولس، تعلقهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال"^(٢)، وفي حديث آخر «بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه، قد أعجبته نفسه، فحسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»^(٣).

(١) سورة القصص: الآية ٧٨.

(٢) السنن الكبرى للنسائي، كتاب الرقاق، ٣٩٨/١٠، رقم الحديث: ١١٨٢٧، سنن الترمذي، ٤/٦٥٥، رقم الحديث: ٢٤٩٢، حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢/١٣٣٥، رقم الحديث: ٨٠٤٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبخر في المشي مع إعجابه، ٣/١٦٥٤، رقم الحديث: ٢٠٨.

الخاتمة

استهدفت الدراسة تفسير آيات الأمر والنهي في سورة لقمان وبيان ما اشتملت عليه من دلالات تربوية، وجاءت مكونة من المقدمة: وفيها ما تتضمنه من أسباب اختيار الموضوع وأهميته ومنهج البحث وخطته، ثم تمهيد: بيان مفاهيم عنوان البحث، ومبحثين هما: المبحث الأول: تفسير آيات الأمر في سورة لقمان ودلالاتها التربوية، وتكون من ثلاثة مطالب هي: المطلب الأول: التأكيد على أن الكتاب المنزل يشمل فلاح البشر، المطلب الثاني: الحث على الأعمال الصالحة والثناء على فاعليها، المطلب الثالث: الحث على التفكير في خلق الله والشكر على نعمه وآلائه، أما المبحث الثاني فكان تفسير آيات النهي في سورة لقمان ودلالاتها التربوية، وتكون من ثلاثة مطالب هي: المطلب الأول: التحذير من لهو الحديث والصد عن سبيل الله، المطلب الثاني: ذم من استكبر عن الحق واعرص عنه، المطلب الثالث: التحذير من الفخر والخيلاء وذم فاعلهما.

ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي:

- اشتملت آيات الأمر في سورة لقمان على العديد من الدلالات التربوية ومنها ما يلي: إن الفخر والخيلاء من الصفات التي يبغضهما الله عز وجل، لزوم صفتي الهدى والرحمة للقرآن الكريم ومنهجه يؤكد لنا أن أي منهج خالفه هو موطن الانحراف ورمز الضلال وسبيل الهلاك والعذاب، يجب على المرين والمصلحين أن يعلموا الأمة كيفية تحقيق معنى الإحسان، لأنه لا ينتفع بهذا القرآن إلا المحسنون، عبادة الله جل وعلا هي السبب الذي أوجد الله لأجله الخلق، وأرسل لأجله الرسل، وهي غاية كل مؤمن، وإليها ينتهي كل خير، لا تكون العبادة مقبولة ولن يكون العمل صالحا إلا بالإخلاص والإتباع، للصلاة أثر روعي في النفس لأنها خير مهذب للأرواح، ومطهر للنفس من أدران الإثم والفساد، وللصلاة أيضا أثر اجتماعي؛ لأنها - كما وصفها الإسلام بأعمالها الظاهرة وحققتها الباطنة - منهاج كامل لتربية الأمة الكاملة. فهي بأعمالها البدنية وأوقاتها المنتظمة خير ما يفيد البدن، وهي بآثارها الروحية وأذكارها وتلاوتها وأدعيتها خير ما يهذب النفس ويرقق الوجدان، وهي باشرط القراءة فيها - والقرآن الكريم منهاج ثقافة عالية شامل - تغذى العقل، وتمد الفكر بكثير

من حقائق العلوم والمعارف، أما الزكاة فلها أثر روحي: بحصول طاعة الله بتنفيذ أمره، كما أنها تشرح الصدر، فالمسلم إذا أحسن إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال، وأنواع الإحسان انشرح صدره، وللزكاة آثار اجتماعية أيضا منها: تثبيت أواصر المحبة بين الغني والفقير؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، تعويد المسلم على صفة الجود، والكرم، والعطف على ذوي الحاجات؛ والرحمة للفقراء، استجلاب البركة والزيادة.

- اشتملت آيات النهي في سورة لقمان على العديد من الدلالات التربوية ومنها: التأكيد بأن حب اللهو والأهواء والصد عن سبيل الله هي عادة متأصلة في نفوس أهل الزيغ والضلال في كل زمان ومكان، الوعيد الشديد لمن أعرض عن الحق واختار الغناء والمزامير والمعازف الشيطانية على القرآن وعلى طاعة رب العالمين، السخرية من منهج الحق وإفساد الناس ومناصرة أهل الباطل هو جرم كبير يستوجب الخسران والعذاب المهين، التعمد بمنع إيصال الحق إلى الضالين عن الصراط المستقيم، هو الصد عن سبيل الله، لأن فيه استخفاف واستحقار لمنهج قويم أنزله الله من فوق سبع سموات، وقد كان هذا دائما دأب أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أو المشركين الوثنيين أو المنافقين، إن الارتباط الوثيق بين الانحراف عن شرع الله والصد عن دينه، استحق الصادون عن سبيله اللعنة والطرده من رحمته، إن الإقبال على الباطل والاستكبار عن الحق والإعراض عنه من نواقض الإيمان التي أجمع عليها أهل العلم، وهي من الصفات التي اشتهر بها اليهود خاصة فنزلت عليهم لعنة الله، ثم صارت سمة بارزة للمتكبرين للحق في كل زمان ومكان، إن الاستكبار عن الحق من أعظم أسباب الانحراف عن الدين الحق، إذ يدفع المرء إلى اتباع الهوى والإصرار على الباطل، عنادا وإثباتا لغرور الذات دون مبالاة بالحجج والبراهين.



المصادر والمراجع

- إبراهيم عبد الشكور بشتاق: بعض المضامين التربوية في سورة الحديد. رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، (١٤١٨هـ).
- ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زمنين المالكي، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، ط1، مصر - القاهرة - الفاروق الحديثة 1423هـ - 2012م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط٢، الدمام - دار ابن القيم ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3، بيروت - دار الكتاب العربي 1416هـ.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط2، بيروت - مؤسسة الرسالة .
- ابن عاشور: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، 1337 م.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، مكارم الأخلاق، دار الوطن، ص 47.
- ابن قيم الجوزية، للإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، أسرار الصلاة والفرق والموازنة بين ذوق الصلاة والسَّماع، اعتنى به: أبو عبد الله همام الجزائري.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، ط3 بيروت - دار صادر 1414 هـ.
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط2، مؤسسة الرسالة 1420هـ، 1999م.

- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت- دار المعرفة-، 1373هـ.
- أحمد علي الزيلعي: المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفاتحة وتطبيقاتها التربوية. رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، (١٤٢٥هـ).
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط1، الرياض- دار الوطن للنشر 1413 هـ .
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط3، بيروت اليمامة - دار ابن كثير، 1417 هـ.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة - مكتبة دار الباز- 1414 هـ - 1994م.
- الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ط ١، ١٤٢١هـ- ٢٠١١م.
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، (ت: 741هـ)، لباب التأويل في معالم التنزيل، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، ط1، بيروت- دار الكتب العلمية، 1411هـ .
- خديجة بنت حمادي بن سليمان اللقماني: القيم التربوية المتضمنة في سورة النحل وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، (٢٠٠٧).
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط1، الكويت- مركز المخطوطات والتراث - 1414 هـ- 1334 م.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت- 1412 هـ.
- سعد العمري: التوجيهات التربوية في سورة المجادلة. رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى (١٤٢٣هـ).

- سليمان بن علي القيس: لقمان ووصاياه في القرآن الكريم، جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه، رسالة ماجستير، ١٤١٧ هـ.
- سيد أحمد طهطاوي: القيم التربوية في القصص القرآني. رسالة ماجستير منشورة، مصر: جامعة أسيوط (١٩٨٥).
- الشيخ، ناصر بن علي عايض حسن، مباحث العقيدة في سورة الزم، ط 1، المملكة العربية السعودية - الرياض - مكتبة الرشد 1415 هـ / 1995 م.
- الصلابي، علي محمد محمد، الإيمان بالله جل جلاله، ط 1، دار ابن كثير - سوريا.
- عبد الله علي أحمد الغامدي: لقمان الحكيم في ضوء الكتاب والسنة، جامعة أم القرى - ماجستير 1412 هـ.
- علي صنيح: المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس وتطبيقاتها التربوية. رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى (١٤٣٠ هـ).
- الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت - دار المعرفة.
- فتح الله، وسيم، أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم.
- القحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، ومنزلة، وحكم، وفوائد، وأحكام، وشروط، ومسائل، ط 3، مركز الدعوة والإرشاد بالقصيم 1431 هـ - 2001 م.
- القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمّد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، ط 1، دار الرسالة العالمية 1431 هـ - 2113 م.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت - مؤسسة الرسالة - 1413 هـ.
- كوثر محمد رضا الشريف: القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم (ودور الأسرة في غرسها في نفوس الفتيات)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة (٢٠٠٤).
- مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

- محمد الرحيلي: بعض المبادئ المستنبطة من سورة يوسف. رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، (١٤٢١هـ).
- محمد الصاوي: دراسات في الفكر التربوي. مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٩٩.
- مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.
- المرسي، كمال الدين عبد الغني، من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، ط 1، 1413هـ / 1331م.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت - دار إحياء التراث العربي.
- المطيري، حصة فهيد مبارك. (٢٠١٩). القيم التربوية المستنبطة من سورة يوسف عليه السلام دراسة تحليلية في ضوء مقررات الفقه في المرحلة الثانوية، مجلة البحث العلمي في التربية، كلية البنات، جامعة عين شمس، العدد العشرون.
- المنجد، محمد صالح، التفكير، ط 1، مجموعة زاد للنشر 1431هـ.
- النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط 2، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، 1416هـ.
- نصر محمد محمود، وأسامة زين العابدين عثمان: دور الأسرة في تنمية بعض القيم التربوية في ضوء سورة المؤمنون (دراسة تحليلية)، مجلة الثقافة والتنمية، السنة الحادية عشرة، عدد ٤١، يناير، (٢٠١١).
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، رياض الصالحين، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط 3، لبنان - بيروت - مؤسسة الرسالة 1413هـ.
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط 1، بيروت - دار الكتب العلمية 1416هـ.



فهرس الموضوعات

٢٧٩	ملخص
٢٨١	مقدمة
٢٨٦	تمهيد
٢٨٩	المبحث الأول: تفسير آيات الأمر في سورة لقمان ودلالاتها التربوية
٢٨٩	المطلب الأول: التأكيد بأن الكتاب المنزل يشمل فلاح البشر
٢٩٠	المطلب الثاني: الحث على الأعمال الصالحة والثناء على فعالها
٢٩٥	المطلب الثالث: الحث على التفكير في خلق الله والشكر على نعمه وآلائه
٣٠٠	المبحث الثاني: تفسير آيات النهي في سورة لقمان ودلالاتها التربوية
٣٠٠	المطلب الأول: التحذير من لهو الحديث والصد عن سبيل الله
٣٠٢	المطلب الثاني: ذم من استكبر عن الحق وأعرض عنه
٣٠٥	المطلب الثالث: التحذير من الفخر والخيلاء وذم فاعلهما
٣٠٨	الخاتمة:
٣١٠	المصادر والمراجع
٣١٤	فهرس الموضوعات